النص الأول: اللغة طبيعتها ووظيفتها

(دكتور محمود فهمي حجازي، "مدخل إلى علم اللغة"، دار قباء، القاهرة، ص. ٩-١٣)

الْمؤلف في سُطور:

ولد الدكتور محمود فهمي حجازي في محافظة المنصورة عام 1940م .هو لغوى مصري معاصر، تخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة وجامعة ميونخ بألمانيا. له دراسات في علم اللغة بعدة لغات. أسهم في المعجم الألماني العربي وفى معجم أسماء العرب وفى تطوير تعليم العربية في عدد من دول العالم. أستاذ علم اللغة ورئيس قسم اللغة العربية ووكيل كلية الآداب جامعة القاهرة (سابقا) ورئيس جامعة نور مبارك بأوزبكستان، وعضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. بعض أعماله :1. إعداد ٢٥ % من المعجم الألماني العربي. 2.اللغة العربية عبر القرون 3. علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة 4. علم اللغة العربية 5.أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى. 6.المدخل إلى علم اللغة. 7.علم المصطلحات والتنمية اللغوية في الوطن العربي. (بتصرف: ويكيبيديا)

أسئلة تمهيدية:

- ما دور اللغة في المجتمع الإنساني؟
- هل يمكننا أن نقول إن اللغة هي أهم شيء في حياة الإنسان؟
- ممّ تتكون لغات العالم أولاً وقبل كل شيء؟
- متى بدأ البحث العلميّ في اللغة؟

النص:

أولاً: اللغة والبحث اللغوي

1. عرف المجتمع الإنساني اللغة في أقدم صوره، فاللغة ظاهرة تميز الإنسان عن الكائنات الأخرى، واختص بها فأتاحت له أن يكوّن المجتمع وأن يقيم الحضارة، ولذا فاللغة والمجتمع والحضارة ظواهر متداخلة متكاملة. لقد أثار كثير من المفكرين على مدى القرون قضية أولية اللغة أم المجتمع أم الحضارة، وطرحوا أيضاً قضية اللغة والفكر أيهما سبق الآخر، ولكن البحث الحديث يحاول أن يبتعد عن هذه الدائرة المفرغة من التساؤلات حول مراحل يصعب الوصول إليها ليثبت تلازم اللغة مع فكر الإنسان وضرورة اللغة لقيام المجتمع وضرورة وجود مجتمع إنساني يتعاون في إقامة الحضارة.

2. إن الإنسان مارس اللغة منذ آلاف السنين هي عمر الإنسان على الأرض، ثم فكر في أن يدوّن اللغة ويخلّدها بذلك للأجيال التالية. كان هذا في مصر والعراق منذ نحو خمسة آلاف سنة فقط، وظلّت أكثر الشعوب على مدى العصور لا تكتب، فاللغة قديمة قدم المجتمع الإنساني، ولكن كتابتها ظاهرة حديثة نسبياً، وهناك شعوب كثيرة لم تدوّن لغتها إلا في السنوات الأخيرة. وكثير من أبناء هذه الشعوب أميّون، وبعضهم لا يتصور أن تلك

العبارات التي ينطق بها يمكن أن تدوّن. فاللغة توجد، سواء أكُتِبت أم لم تُكتب، فالإنسان يحتاج اللغة في حياته اليومية، ولكن تدوين اللغة لا يأتي عادة إلا في مرحلة من الرقي الحضاري.

3. أما البحث العلمي في اللغة فهو ظاهرة حديثة نسبيا، وشبيه بهذا أمر البحث العلمي في فروع المعرفة المختلفة. الإنسان يتنفّس منذ وُجد، ولكن المعرفة الحقيقيّة بالجهاز التنفّسي وبعمليّة الشهيق وبعمليّة الزفير وما يرتبط بهما من عمليات فسيولوجية في داخل جسم الإنسان تُعدّ من الحقائق التي أتى بها البحث العلمي منذ وقت قريب نسبياً. إن الإنسان عرف الماء وأحسّ به وأفاد منه في حياته اليومية، ولكن التحليل العلمي لمكوّنات الماء وخصائصه ودوره الحيويّ في جسم الإنسان عمل علميّ لا يعرفه بالضرورة كلّ من يستخدم الماء أو يشربه. وشبيه بهذا أمر اللغة، فاللغة قديمة قدم المجتمع الإنساني، ولكن البحث العلمي في اللغة لم ينشأ إلا في إطار التقدم العلمي، ولذا فهو أمر حديث نسبياً في تاريخ الإنسان.

ثانياً : طبيعة اللغة

4. لقد عرّف اللغوي ابن جنّي (المتوفّى 392 هـ) اللغة بعبارته: "حدّ اللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم". وهذا التعريف يتضمن العناصر الأساسية لتعريف اللغة ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة، فهو يوضّح الطبيعة الصوتية للغة ويؤكد أن اللغة أصوات، وهو بهذا يستبعد الخطأ الشائع الذي يتوهم أن اللغة في جوهرها ظاهرة مكتوبة. ويوضّح تعريف ابن جني طبيعة اللغة من جانب ووظيفتها من الجانب الآخر.

5. وتوضّح التعريفات الحديثة للغة أولاً وقبل كل شيء أن اللغة نظام من الرموز، ومعنى هذا أن اللغة تتكون من مجموعة من الرموز تُكوّن نظاماً متكاملاً. واللغة أكثر نظم الرموز التي يتعامل بها الإنسان تركيبا وتعقيدا، فإشارات المرور رموز ضوئية، ولكنها محدودة وبسيطة. والإشارات الضوئية الصادرة من السفن وأعلام الجيوش والكشافة والفرق الرياضية رموز بسيطة أيضاً. أما الصيحات التي تطلقها الحيونات بأنواعها ولا سيما الطيور فإنها أيضاً محدودة وبسيطة. ولكن الإنسان وحده يتعامل باللغة التي تقوم على عدد من الرموز ولكنها تكوّن نظاماً مركبا معقداً. الأصوات التي تصدر عن أعضاء النطق عند الإنسان محدودة نسبياً، واللغات تشترك في كثير من الأصوات، وأكثر اللغات الإنسانية تفيد من عدد من الأصوات يقل عن أربعين صوتا، ولكن هذه الأصوات المحدودة تتخذ أنساقاً كثيرة فتكون آلاف الكلمات في اللغة الواحدة، وتتخذ هذه الكلمات عدة ترتيبات متعارفا عليها في البيئة اللغوية فتكون ملايين الجمل، وتعبر بذلك عن الحضارة الإنسانية والفكر الإنساني. ولذا

فاللغة الإنسانية تختلف عن نظم الاتصال البسيطة الأخرى الموجودة عند الإنسان وعند الحيوان في أن اللغة الإنسانية نظام مركب معقد من الرموز.

6. إن الرموز اللغوية لا تحمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي فليست هناك أية علاقة بين كلمة "حصان" ومكوّنات جسم الحصان. والعلاقة كامنة فقط عند الحاجة الإنسانية التي اصطلحت على استخدام هذه الكلمة اسما لذلك الحيوان. ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف أيْ تقوم على ذلك الاتفاق الكائن بين الأطراف التي تستخدمها في التعامل. ولذا فالرموز اللغوية وسائل اتصال في إطار الجماعة اللغوية الواحدة. وتقوم عملية الكلام على وجود استخدام هذه الرموز اللغوية المركبة بقيمها العرفية، وبعبارة أخرى هناك اتفاق على ترجمة هذه الرموز في العقل إلى دلالتها التي يعنيها المتحدث أو الكاتب فيفهمها المستمع أو القارئ.

ثالثاً: عملية الكلام بين الفرد والمجتمع

7. إن عملية الكلام تتم نتيجة وجود مؤثرات خارجية أو داخلية مرئية أو مسموعة، يستجيب لها الجهاز العصبي للمتكلم فيصدر أوامره إلى أعضاء النطق فترسل بدورها هذه الأوامر على شكل موجات صوتية، وتمضي هذه الموجات في الهواء فتتلقاها أعضاء السمع عند المتلقي ناقلة إياها إلى الجهاز العصبي، وقد يصدر أوامره بعد ذلك إلى أعضاء النطق، وهكذا تحدث عملية الكلام. وهناك عدة تخصصات تهتم ببحث عملية الكلام، فالعمليات العقلية عند المتحدث والمتلقي موضوع بحث في علم اللغة النفسي، وهو تخصص جديد آخذ في الاستقلال. أما علم اللغة فهو يبحث تلك الرموز الصوتية التي نقلت الفكرة من المتحدث إلى المتلقي ويبحث كيفية تكوين هذه الرموز الصوتية للكلمات في تلك اللغة، وكيفية تكوين الكلمات للجمل، ويربط البحث اللغوي كل هذا بالمعنى الذي تحمله هذه الرموز. وعلى هذا فوجود اللغة يشترط وجود مجتمع، وهنا يتضح الطابع الاجتماعي للغة، فليس هناك نظام لغوي يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به فاللغة ليست هدفا في ذاتها، وإنما هي وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية. إن الفرد الواحد يشارك في عملية الكلام في مواقف الحياة، وباختلاف المواقف الكلامية التي يعيشها الفرد تختلف مشاركته في استخدام اللغة. وهنا يجد الباحث من الضروري أن يميز بين اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية والاستخدام الفردي لها باعتبار يختلف باختلاف الأفراد وباختلاف المواقف الكلامية التي يستخدمون فيها اللغة.

8. لقد ميز اللغوي السويسري دي سوسير "de Saussure" بين ثلاثة مصطلحات أساسية في نظرية اللغة، وهي مصطلحات "Langue" ويعني اللغة الواحدة مثل اللغة العربية

أو اللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية إلى آخره، و"Parole" وتعني الكلام أو الاستخدام الفردي للغة الواحدة عند الفرد، و"Langage" القدرة اللغوية عند الإنسان بصفة عام. ولهذا التمييز أهمية في البحث اللغوي المعاصر، فالبحث اللغوي يتجاوز الاستخدام الفردي للغة إلى ظاهرة اللغة في أبعادها العامة المشتركة عند أفراد الجماعة اللغوية، فالإنسان الواحد مهما أُوتِيَ من المهارة اللغوية والقدرة اللسانية والتنويع في أسلوب الكتابة لا يستخدم كل المعجم الذي تعرفه لغته ولا يفيد من كل إمكانات البُنية اللغوية المتاحة له عندما يتحدث أو يكتب اللغة. وإن بحث الاستخدام اللغوي عند الفرد الواحد هو مجرّد مرحلة تليها مراحل كثيرة حتى يصل إلى تعرف بُنية اللغة موضع البحث، وهناك فرق واضح بين الأداء اللغوي "Performance" عند الفرد وهو محدود نسبيا وبين االملكة أو الكفاءة اللغوية "Competence" لديه حتى يفهم الآخرين وأن يكوّن جملا جديدة لم يسمعها من قبل، ولكنها ممكنة في إطار البُنية اللغوية الكامنة عند أبناء الجماعة اللغوية. ولذا لا يكتفي الباحث الأداء اللغوي عند فرد بعينه وإنما عليه أن يتجاوزه إلى بحث البنية اللغوية الكامنة وراء استخدام آحاد الأفراد. ويعد التمييز بين الأداء اللغوي والكفاية اللغوية في نظرية اللغة عند شومسكي "Chomsky" تطويرا لرأي دي سوسير في اللغة والكلام.

المفردات:

أتاحَ – يُتِيحُ (ت ي ح) "vermek, bahşetmek" (sülâsi mezid rubâi/if'âl babı);

مُتداخِل (د خ ل) "iç içe geçen, kaynaşan" (ism-i fâil);

أَثارَ – يُثِيرُ (ث و ر) "ortaya atmak, çıkarmak" (sülâsi mezid rubâi/if'âl babı);

على مَدَى (م د ى) "boyunca" (kalıp kullanım);

قَضِيّة (ق ض ى) "mesele, problem, mevzu" (isim);

طَرَحَ – يَطرَحُ (ط ر ح) "ortaya atmak, ele almak" (sülâsi mücerred/III. bab);

الدّائِرة المفَرَّغَة (د و ر/ف ر غ) "kısır döngü, fasit daire" (kalıp kullanım/sıfat tam.);

التَّساؤُلات(س أ ل) "sorular, sorgulamalar" (kurallı dişil çoğul);

التَلازُم (ل ز م) "ayrılmazlık, bağlılık, yapışma" (masdar);

مارَسَ – يُمارِسُ (م ر س) "uygulamak, kullanmak" (sülâsi mezid rubâi/mufâale);

الرُّقِيّ (ر ق ى) "yükselme, gelişme, ilerleme" (isim/masdar);

العَمَلِيَّةُ (ع م ل) "iş, eylem, işlem" (ism-i meful/kalıp kullanım);

الشَّهِيقُ (ش هـ ق) "nefes alma" (isim/masdar);

الزَّفِيرُ (ز ف ر) "soluma, nefes alıp verme" (isim/masdar);

الفِسْيولوجيّةُ (أُنظر ألفبائياً) "fizyolojik" (yabancı kelime/sıfat);

الْمُكَوِّناتُ (ك و ن) "bileşenler, parçalar, unsurlar" (ism-i fâil/kurallı dişil çoğul);